الظواهر النحوية في قراءة عبد الله بن مسعود

أ – لحلوحي صالح
قسم الأدب العربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد خيضر بسكرة

مقدمة: يعتبر موضوع القراءات القرآنية من المواضيع الهامة في الدراسات القرآنية واللغوية فقد تناوله المفسرون واللغويون كل حسب معرفته وإدراكه وفهمه، والقراءات السبع هي المتفق عليها إجماعا، ولكل منها سند في روايتها، وطريق في الرواية عنها، وقد جمعها ابن مجاهد في كتاب لاختياره الخاص، وأورد ابن الجزري في النشر في القراءات العشر مقياس القراءة الصحيحة؛ كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها وهذه الأركان الثلاثة هي ضوابط للقراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا إنكارها ومتى اختل ركن من هذه الأركان أُطلق عليها قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة وحكم الشرع فيها البطلان وعدم جواز التعبد بها. وهذا ما حدث لقراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي بالرغم من مكانته القريبة من رسول اللهr.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهم الظواهر النحوية الخاصة بالقراءة الشاذة (عبد الله بن مسعود) وأقصد بها المواضع التي انفرد بها عبد الله بن مسعود من الناحية النحوية، وقد آثرت أن أعرض للأفعال اللازمة والمتعدية من قراءات ابن مسعود، ثم أعرض إلى الظواهر الإعرابية الأخرى كالرفع والنصب والجر، مستشهدا بأهم آراء علماء القراءات القرآنية تعليقا و تخريجا.

1– *استعمال الأفعال اللازمة والمتعدية*:

من مظاهر اختلاف قراءة ابن مسعود عن قراءات بقية القراء، هو استعماله لبعض الأفعال الخاصة استعمال اللازم، واستعمال هذه الأفعال نفسها متعدية، وقد يعمد إلى بعض الصيغ والأوزان الخاصة اللازمة فيستعملها متعدية والعكس، وقد يكون هذا اللازم ثلاثيا وقد

يكون رباعيا، وقد يتعدى الفعل إلى مفعوله، وقد يتعدى بالهمز أو التضعيف أو بواسطة حرف جر.

ففي قوله تعالى:(**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**)[1]، انتصاب"خيرًا" على المفعول بعد إسقاط حرف الجر أي بخير وهي قراءة ابن مسعود حيث قرأ "يتطوع بخير"[2]، فقد تعدى الفعل بواسطة حرف الجر.

والملاحظة نفسها في قوله تعالى:(**ليسَ البرَّ أن تُوَلُّوا وُجُهَكُم**)[3]، فمن قرأ بنصب "البرَّ "جعله خبر" ليس " وأن تولوا في موضع الاسم والوجه أن يلي المرفوع لأنها بمنزلة الفعل المتعدي وهذه القراءة من وجه أولى وهو أن جعل فيها اسم ليس أن تولوا وجعل الخبر البر وأن وصلتها أقوى في التعريف من المعرّف بالألف واللام[4].

أما في قوله تعالى:(**فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وهو قائم يُصَلِّي في الْمِحرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَ مُصَدِّقًا**)[5] فقد قرأها ابن مسعود وأصحابه بالتخفيف في جميع القرآن؛ وهي خمسة مواضع من القرآن: في آل عمران حرفان، وفي بني إسرائيل، وفي الكهف، وفي مريم (من أَبْشَرَ)، وكأن المشدد على بشارات الْبُشَراء، وكأن التخفيف من وجهة الأفراح والسرور[6]. وهذا من قبيل تعدية الفعل بالهمز عند قبيلة بن مسعود بالرغم من أن اللغة الفصحى تجنح إلى التضعيف ويحدث هذا في الأفعال الثلاثية (المتعدية من مادتها)، ولا وجود للهمزة فيها، كما أنني سأعرض بعض الأمثلة الأخرى في هذا المجال من قراءة ابن مسعود، لكي تتضح الصورة أكثر ويتضح المعنى كما في الآية السابقة[7].

فحين يقرأ جمهور القراء قوله تعالى: (**والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُنْيَا حَسَنَةً**)[8]، بَوَّأَ مُضَعَّفًا نجد أن ابن مسعود قد قرأها "لَنُثْوينكم " من أَثْوَاهُ " المتعدي بالهمز بمعنى أنزله وأسكنه، والفعلان " بَوَّأَ و أثوى" مترادفان أو متقاربان في معناهما[9].

وكذلك قرأ الجمهور:(**وَإِذَا غَدَوْتَ مِنَ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ القِتَالِ**)[10]، "تُبَوِّئُ "بالتضعيف من بَوَّأَ المتعدي إلى مفعولين، وقرأ ابن مسعود:"تُبْوِئُ" بالتخفيف مِنْ أَبْوَأَ متعديا بالهمز إلى مفعول واحد وجر المفعول الأول عند جمهور القراء وقرأ "تُبْوِئُ للمؤمنين" بلام الجر على معنى ترتب وتهيئ وتسوي لهم، قال الفراء:(قال الكسائي: سمعت بعض العرب يقول: نَقَدْتُ لها مائة، يريدون نقدتها مائة لامرأة تزوجها. كما أن الأصل تعديته لواحد بنفسه وللآخر بلام الجر لأن ثلاثية لا يتعدى بنفسه إنما يتعدى بحرف الجر)[11].

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: (**وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)**[12]، فقد قرأها الجمهور " وَمَا نَزَّلَ " بالتشديد، بما فيهم عاصم وبعض أهل المدينة، وقرأها نافع وحفص بالتخفيف " نَزَلَ " بينما نجد عبد الله بن مسعود يقرأها "وَمَا أَنْزَلَ "بالهمز أي همزة النقل مبنيا للفاعل وهذه القراءة هي حجة لمن قرأ بالتشديد " نَزَّلَ "[13].

وكذلك في قوله تعالى: (**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً**)[14] فقد قرأها الجمهور "وَنُزِّلَ " فعلا ماضيا مشددا مبنيا للمفعول، قرأها ابن مسعود وأبو رجاء" وَنَزَلَ " ماضيا مخففا مبنيا للفاعل وعنه – أي ابن مسعود – " وَأَنْزَلَ " بالهمز تخفيفا مبنيا للفاعل وجاء مصدر تنزيلا وقياسه إنزالاً إلاَّ أنه لما كان معنى أنزل ونزل واحد جاء مجيء مصدر أحدهما للآخر، كما قرأ أيضا الأعمش وابن مسعود " وَأُنْزِلَ " ماضيا رباعيا مبنيا للمفعول مضارعه ينزل[15] ويرى ابن خالويه أن قراءة " نزل وأنزل " أمر غريب، ويعلله بالترادف بين الفعلين شأنه في ذلك شأن كثير من اللغويين و النحاة، ويعقب الدكتور عبد الجواد الطيب في كتابه من لغات العرب (لغة هذيل)عن قول ابن خالويه قائلا:(ولا وجه لغرابة ابن خالويه، ولا لهذا التعليل بالترادف، فالترادف وحده لا يكفي في الانتقال من لفظ إلى غيره دون حافز، ولا سيما أن هذان قرآن، ولا تجوز فيه بالمرادف إلاَّ إذا كان مقصورا بها التفسير، كما نرى عند ابن مسعود في مواطن أخرى؛ أما هنا فلا حاجة للتفسير، فالفعلان متكافئان في الوضوح والبيان، فلم يبقى إذن إلا القول بأن ابن مسعود آثر الهمز، كما يؤثره قومه أحيانا على التضعيف)[16].

ومنه يتضح لنا أنه بإمكاننا أن نعدي أمثال هذه الأفعال دون حروف الجر ففي "أظَلُّهُ" يمكن أن نقول"وأظلُّ عليه" وفي "فأنصتوها" "أنصتوا لها" وقد جاء كذلك في قوله تعالى:(وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُون)[17] **ويقصد منها: وإِذَا كَالُوا لهم.**

وفي قوله تعالى:(**إِنَّمَا الشيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فلا تخافوه و خَافُونِ إِنْ كُنْتُمُ مُؤْمِنِينَ)**[18]، ففي قراءة من قرأ " يُخَوِّفُ أولِيَاءَهُ" وهي قراءة الجمهور نجد أن الفعل تعدى إلى مفعول واحد وأن المفعول الآخر حذف، وأن التشديد في "يُخَوِّفُ" كان قبله يتعدى لواحد و بتضعيف الفعل صار يتعدى إلى مفعولين اثنين، والفعل هنا هو من الأفعال التي يجوز حذف مفعوليها أو أحدهما اقتصارا واختصارا ويجوز أن يكون المفعول الأول هو المحذوف ويكون تقديره " يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ " أي شرَّ أوليائه في هذا الوجه لأن الذوات لا تخاف ويكون المخوفون إذ ذاك المؤمنين، ويجوز أن يكون المحذوف المفعول الثاني أي يخوف أولياءَهُ

شرَّ الكفار ويكون أولياءه في هذا الوجه هم المنافقون، وعلى الوجه الأول يكون أولياءه هم الكفار أبو سفيان ومن معه ويدل على هذا الوجه قراءة ابن مسعود وابن عباس:" يخوفكم أولياءه " إذ ظهر فيها أن المحذوف هو المفعول الأول[19].

أما في قوله تعالى: (**وَاتقوا اللهَ الذي تسَّاءَلُونَ به وَالأَرْحَامَ**)[20]، قرئ بالحركات الثلاث؛ فالنصب على وجهين: إما على: واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررتُ بزيد وعمرًا، وينصر قراءة ابن مسعود: "تَسْأَلُونَ بِهِ الأَرْحَامَ " وكذلك قيل النصب عطفا على موضع به كما جاء في المثال السابق لما لم يشاركه في الإتباع على اللفظ اتبع على موضعه. وأما الجر فظاهره أنه معطوف على المضمر المجرور من غير إعادة الجار على هذا فسرها الحسن والنخعي ومجاهد ويؤيده قراءة عبد الله وبالأرحام[21].

كما استخدم ابن مسعود – في بعض قراءاته – أفعالا هي ثلاثية في قبيلة وغير ثلاثية في بقية القبائل الأخرى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ ويَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رَدُّوا إلى الفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا)[22] فقد قرأ الجمهور بإثبات الهمزة وضمها، بينما قرأ ابن مسعود:" رُكِسُوا " بضم الراء من غير ألف، كما قرأ أيضا "رُكِّسُوا " بشد الكاف للنقل و التكثير، كما قرأ أيضا "رَكَسَهُمْ " ثلاثيا مخففا قوله تعالى:(و الله أركسهم بما كسبوا)[23].

كما نجد في قوله تعالى:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلأَنْفَالِ قُلْ الأنفال لله وللرسول**)[24]، قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وولديه زيد ومحمد الباقر وولده جعفر الصادق " يَسْأَلُونَكَ ٱلأنَ ْفَالَ"، وهذا لا ضرورة تدعو إلى ذلك وينبغي أن تحمل قراءة من قرأ بإسقاط "عَنْ " على إرادتها لأن حذف الحرف وهو مراد معنى أسهل من زيادته لغير معنى غير التوكيد، ويقول أبو الفتح أن القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأولى التي هي"عَن الأنفال" وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها[25].

وفي قوله تعالى: (**وَلاَ تَعجلْ بِالْقُرَآنِ من قبل أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيَهُ**)[26] قرأ الجمهور"يُقْضَى إليك وَحيَهُ " بضم الياء وفتح الضاد مبنيا للمفعول ورفع " وَحْيُهُ " على أساس نائب فاعل، بينما قرأ عبد الله والجحدري والحسن وأبو حيوة " نَقْضِيَ " بنون العظمة مفتوحة وكسر الضاد، مبنيا للفاعل و فتح الياء نصبا بـ (أن)، ونصب " وَحْيَه " مفعول به ووافقهم في ذلك الأعمش[27].

كما اختلف في قوله تعالى:(**وَنُرِيَ فِرْعُونَ وهَامَان وجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُون)**[28] فقد قرأ الجمهور بنون مضمومة وراء مكسورة وياء مفتوحة عطفا على الأفعال المنصوبة بأن "نَمُنَّ ونُمَكِّنَ" وكذلك على الإخبار عن الله جل ذكره ونصب فرعون وهامان وجنودهما الأول مفعول به بينما الآخران معطوفان، وقرأ ابن مسعود و الكسائي "وَيَرَى" بالياء المفتوحة، وفتح الراء ممالة مضارع "رأى" ورفع الأسماء الثلاثة بعدها على أن فرعون فاعل والاسمين التاليين معطوفين عليه[29].

وفي قراءة قوله تعالى:(**بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ)**[30]، قرأ الجمهور:"صَدَّقَ" بتشديد الدال وتعدية الفعل ونصب المرسلين بالياء مفعولا به، وقرأ عبد الله بن مسعود "وصَدَقَ" بتخفيف الدال والمرسلون بالواو رفعا والمرسلون فاعل مرفوع بالواو ولزوم الفعل لا تعديته[31].

هذه القراءة الأخيرة تبين لنا مدى تقوية الفعل وتعديته باستعمال التضعيف والأمثلة كثيرة في اللغة العربية، لكن مجرد فك تضعيفها وتخفيفها يزيل عنها تعديتها ويبقيها لازمة، وكما نعلم أيضا أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود في هذه الأمثلة التي سقتها يستعمل بعض الأفعال اللازمة استعمال المتعدية والعكس وبالتالي فلا غرابة إذا وجدنا في قراءته الكثير من الخرجات الشاذة والتأويلات التي تضعف من شأن قراءته و تخرجها من دائرة القراءة.

ظاهرة الإعراب: من بين المواضع النحوية التي انفرد بها ابن مسعود عن بقية القراء المعروفين، ظاهرة الإعراب؛ الرفع والنصب والجر، والتنوين.

هل هذه الظاهرة هي مسألة مواضعة في اللغة العربية وبالتالي هي موجودة في لهجاتها العديدة ؟، وهل اجتمعت القبائل العربية المترامية في أطراف الجزيرة العربية واصطلحت فيما بينها على حركات الإعراب وظواهره، يقول الدكتور عبد الجواد الطيب: (إن هذا الرأي يرجع بنا قليلا أو كثيرا إلى القول بالوضع في اللغة، ذلك القول الذي تبين خطؤه، فاللغة في جميع مظاهرها–إعرابية وغير إعرابية – إنما هي ظاهرة اجتماعية لا شأن للمواضعة فيها)[32].

وكما هو في معلوم في تراثنا العربي أن الإعراب من المظاهر اللغوية الموجودة في اللغات السامية، وأن نسبة إنكار الخلاف في الإعراب – خاصة في اللهجات العربية – يدحضه وجود آثار له في القراءات المختلفة للقرآن الكريم؛ هذه القراءات التي هي من آثار

اختلاف اللهجات العربية، وأن هذا الخلاف بارز وواضح في تعدد مظاهر القراءات و تعدد القراء. ويضيف صاحب كتاب من لغات العرب الدكتور عبد الجواد الطيب معقبا: (وإذا تطرق الشك أحيانا إلى النحاة، وما عساهم أن يصطنعوه دعما لرأي يرونه، أو حجة يحتجون بها، فإن القراء لاشك بعيدون عن هذا الميدان، فقراءتهم حجة في الموضوع)[33].

وسأعرض هذه الظواهر الإعرابية في قراءة ابن مسعود معتمدا على أهم المواضع التي انفرد بها دون غيره من القراء وبالتالي عرض بعض الظواهر الإعرابية التي تختص بها قبيلة هذيل ومنه الوقوف على جوانب الاستعانة في موضوع الظاهرة الإعرابية.

ظاهرة الرفع: ويقصد بها تلك الألفاظ الني يذكر بشأنها النحاة أنها تحمل علامات الرفع وهي في حقيقتها غير ذلك إلا أن ابن مسعود يؤثر الرفع في هذه الألفاظ خلافا للمصحف الإمام الذي تكون فيه إما منصوبة أو مجرورة، والأمثلة كثيرة في هذا المجال خاصة وأن ابن مسعود نجد في قراءته المختلفة– وهي بطبيعة الحال مظهر من المظاهر اللهجية الهذلية – ظاهرة الرفع بارزة وواضحة مبثوثة في أمهات المصادر والتفاسير اللغوية.

ففي قوله تعالى: (**وَأَمَا الذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُون مَاذَّا أراد اللهُ بَهذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إلاَّ الْفَاسِقِينَ**)[34]، يقول أبو حيان: يُضلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا" جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير للجملتين السابقتين المصدَّرتين بإمَّا ووصف تعالى العالمين بأنه الحق، كما اختار بعض المفسرين أن يكون قوله تعالى:(يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا) في موضع الصفة. وورد عن ابن مسعود أنه قرأ: "يُضل" بضم الياء في الأول وما يضل به بفتح الياء والفاسقون بالواو وكذا أيضا في القراءتين السابقتين وهي قراءات متجهة إلى أنها مخالفة للمصحف المجمع عليه [35].

و من مظاهر الخلاف بين الرفع و غيره في قراءة ابن مسعود، قوله تعالى: (**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ و الْمَغْرِب)**[36] فقد قرأ حمزة وحفص " لَيْسَ " من أخوات " كان "، يقع بعدها المعرفتان، فتجعل أيهما شئت الاسم والآخر الخبر، فلما وقع بعد " ليس" " البر" وهو معرفة و" أن تولوا " معرفة لأنه مصدر بمعنى التولية جعل " البرَّ " الخبر فنصبه، وجعل " أن تولوا " الاسم فقد رفعه، وكان المصدر أولى بأن يكون اسما لأنه لا يتنكر، و"البر " قد يتنكر، أما وجه القراءة بالرفع أن اسم " ليس " كالفعل، ورتبة الفاعل أن يلي الفعل فلما ولي"البر" "ليس" رُفع وقد ورد في مصحف عبد الله بن مسعود: (لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تُوَلُّوا) بزيادة الباء ورفع " البر " ولا يجوز فيه إلا الرفع[37].

وفي قوله عز من قائل:(**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه)**[38] بنصب" العُمْرَةَ " لأنها معطوف على المفعول، وقرأ ابن مسعود وعلي وزيد بن ثابت وابن عباس وأبو حيوة "والعمرةُ لِلَّهِ" بالرفع على الابتداء والخبر؛ كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب، ولِلَّهِ متعلق بأتموا وهو مفعول لأجله ويجوز أن يكون في موضع الحال ويكون العامل محذوف تقديره كائنين لله [39].

وقد أوثر عن ابن مسعود أنه رفع الأسماء الثلاثة بعد "لاَ" في قوله تعالى:(**الحجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقُ وَلاَ جِدَالٌ فِي الْحَجِّ)**[40]، وبالتالي كانت قراءته:" فلا رفثُ ولاَ فُسوُقَ ولا جِدَالُ " ووجه القراءة بالرفع والتنوين أن"لاَ" بمعنى " ليس فارتفع الاسم بعدها، لأنه اسمها، والخبر محذوف تقديره: فليس رفث ولا فسوق في الحج، دل عليه " في الحج " الثاني الظاهر وهو خبر " ولا جدال "، ويجوز أن ترفع" رفث وفسوق " بالابتداء، ولا " للنفي"[41].

ومن مظاهر الرفع أيضا ما جاء في قوله تعالى:(**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)**[42]. وتقدير من قرأ: وصيَّةً بالنصب:والذين يتوفون يوصون وصية، وقرأ الكسائي وأبو بكر"وَصِيَّةُ "بالرفع، وتقديره: ووصية الذين يتوفون، والرفع على الابتداء وهي نكرة موصوفة في المعنى التقدير وصية منهم أو من الله، كما ذكر بعض النحاة أن " وصيةُ " مرفوع بفعل محذوف تقديره: " كُتِبَ عَلَيْهِمْ وَصيَّةُ لأَزْوَاجِهِمْ " وهي قراءة عبد الله ابن مسعود وينبغي أن يحمل ذلك على أنه تفسير معنى لا تفسير إعراب إذ ليس هذا من المواضع التي يُضْمر فيها الفعل[43].

وفي قوله تعالى:(**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىَ بِهِمَا)** [44] نجد أن عبد الله بن مسعود قد قرأ " إِنْ يَكُنْ غَنِيٌّ أَوْ فَقِيرٌ " على أن " كان " فعل تام[45]، وبالتالي إهمال عملها على أساس أنها فعل ناقص يأتي الاسم بعدها مرفوعا والخبر منصوبا لكن هنا " كان " لم تعمل عمل الأفعال الناقص بل هي فعل تام والاسم بعدها فاعل مرفوع وهذا مخالف للمصحف الإمام و كذا القواعد اللغة العربية.

ومن مظاهر إيثار الرفع عند ابن مسعود بالرغم من أن الجمهور قرأ بالنصب ما جاء في قوله تعالى:(**قَالَتْ يَا ويْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزُ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَاَ لشَيءٌ عَجِيبٌ)**[46] نجد أن ابن مسعود قرأ "وهذا بَعْلي شَيْخٌ" بالرفع، وقرأ الجمهور:"وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا "بالنصب على أن(هذا) مبتدأ، وبعلي خبره،و(شيخا)حال من بعلي مؤكدة، وقراءة ابن مسعود بالرفع

يكون على أن تقول (هو شيخٌ) كأنه فسر بعدما مضى الكلام الأول أو أن يكون أخبر عنها خبرا واحدا [47]. يقول العكبري:(وَيقرأ شَيْخٌ "بالرفع: وفيه عدة أوجه:أحدهما:أن يكون(هذا) مبتدأ و(بعلي) بدلا منه،(شيخُ) الخبر، والثاني: أن يكون(بعلي)عطف بيان و(شيخ)الخبر والثالث:أن يكون(بعلي) مبتدأ ثانيا، وشيخ خبره، والجملة خبر(هذا)، والرابع:أن يكون(بعلي) خبر المبتدأ،و(شيخ)خبر مبتدأ محذوف: أي هو شيخ، والخامس: أن يكون(شيخ)خبر ثانيا، والسادس: أن يكون (بعلي) و(شيخ) جميعا خبرا واحدا كما تقول: هذا حلوٌ حامضٌ، و السابع: أن يكون شيخ بدلا من بعلي)[48].

و نجد في موضع آخر من مواضع خرجات ابن مسعود في مظهر من مظاهر الخلاف بين الرفع وغيره في ألفاظ قراءته، أنه قرأ بالرفع على لهجة التميميين وذلك بعد "ما" فالحجازيون يَعمِلون "ما" النافية عمل ليس و ذلك في قوله تعالى: (**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بشرًا إنْ هَذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**) [49]حيث قرأها الجمهور " مَا هَذا بَشَرًا " وذلك بانتصاب بشرًا على لغة الحجاز القديمة، وقرأ عبد الله (ما هَذَا بشرٌ) بالرفع وهي لهجة تميم التي تهمل عمل "ما النافية " فيأتي بعدها الخبر مرفوعا بعكس الحجازيين الذين ينصبونه على أنه خبر" ما" العاملة.

وفي قوله تعالى: (**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمْ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ**)[50]،في هذه الآية الكريمة قرأ الجمهور "الحقَّ" بالنصب صفة لدينهم،وقرأ عبد الله ومجاهد "الحقُّ" بالرفع صفة لله ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصوف وصفته[51].

ومن مظاهر الرفع دائما عند ابن مسعود في قراءاته المتعددة وما نراه من إيثار قبيلة هذيل للرفع في بعض ما يسميه النحاة فضلة كالحال مثلا، ففي قوله تعالى:(**فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهِمَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظالمين**)[52]، فقد قرأ الجمهور"خَالديْن" بالياء حال، و(في النار) خبر أن بينما قرأ ابن مسعود: "فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدان " بالألف ووافقه في ذلك زيد بن علي والأعمش وابن أبي عبلة، على أساس أنه خبر أن وفي النار لغو[53].

ومما سبق في ظاهرة الرفع التي انفرد بها ابن مسعود وبعض القراء دون البقية يمكن القول أن لهجته الهذلية، إضافة إلى تأثره بلهجة تميم خاصة فيما يتعلق بعمل "ما" و" لا " النافية، إضافة إلى التخريجات النحوية الخاصة بظاهرة الرفع جعلت من عبد الله بن مسعود

يحيد عن المصحف الإمام حتى وإن كانت بعض قراءاته موافقة لقواعد اللغة العربية، ومؤدية للمعنى، ويحتج بها في مجال اللغة وبالتالي فهي من هذه الناحية مقبولة.

ظاهرة النصب:بعد أن استعرضت ميل ابن مسعود إلى الرفع في أحوال خاصة مخالفا فيها جمهور القراء وشذّ فيها عن المصحف العثماني لاعتبارات لغوية أو لهجية خاصة بقبيلة هذيل، أحاول بعد هذا أن أتطرق إلى ظاهرة أخرى من ظواهر الإعراب وهي النصب في قراءات وردت عند جمهور القراء على غير النصب لكن ابن مسعود آثر نصبها شذوذا عن المصحف الإمام ومخالفة له تماما كما فعل في ظاهرة الرفع.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: (**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغضُوب)**[54] قرأ الجمهور "غَيْرِ" بالجر على البدل أي بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى أن المنعم عليهم، هم الذين سلموا من غضب الله أو الضلال، بينما روي الخليل عن ابن كثير "النصب" وهي قراءة عمرو وابن مسعود وعلي وعبد الله بن الزبير "غَيْرَ" نصبا على الحال من الضمير في عليهم [55].

ومن أمثلة الاتجاه إلى النصب، قوله تعالى:(**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون)**[56]، قرأ الجمهور بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف(هُمْ صُممٌّ)،وقرأ ابن مسعود وحفصة أم المؤمنين: صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا(بالنصب)، وقد ذكر النحاة في نصبه وجوها؛ أحدهما أن يكون مفعولا ثانيا لِتَرَكَ ويكون(في ظلمات) متعلقا ب(تركهم)،أو في موضع الحال ولا يبصرون حال،الثاني أن يكون منصوبا على الحال من المفعول في تركهم، والثالث أن يكون منصوبا بفعل محذوف تقديره أعنى، الرابع أن يكون منصوبا بأعلى الحال من الضمير في يبصرون،الخامس أن يكون منصوبا على الذمّ صُمًّا بَكْمًا[57].

ومن أحوال النصب الغريبة التي أنفرد بها عبد الله بن مسعود، قوله تعالى:**(وَإِذَا أَخَذَ اللهُ مِيثَقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْتُكُمْ مِنء كِتَابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولُ مُّصَدِّقُ لِمَا مَعَكُمْ)**[58]، قرأ الجمهور(مُصَدِّقٌ) بالرفع صفة للرسول وقرأ ابن مسعود (رسولُ مصدقًا) بالنصب على الحال وهذا جائز من النكرة و إن تقدمت النكرة، وقد قاس سيبويه هذا واستحسنه في هذه القراءة أنه نكرة في اللفظ معرفة من حيث المعنى [59].

ومن مظاهر النصب التي تلفت الانتباه في خرجات ابن مسعود، ما جاء في قوله تعالى:**(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)**[60] قرأ جمهور القراء بالرفع

(التَّائِبون...والحَافظون)وذلك لاستئناف الرفع لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، والرفع على المدح. أي هم التائبون يعني المؤمنين و يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود و أبي:(التائبين بالياء إلى الحافظين) في موضع خفض؛ لأنه نعت للمؤمنين: اشترى من المؤمنين التائبين، ويجوز أن يكون (التائبين) في موضع نصب على المدح[61]. يقول أبو الفتح:(أما رفع"التائبون العابدون" فعلى قطع واستئناف أي هم التائبون العابدون وأما" التائبين العابدين"، فيحتمل أن يكون جرا وأن يكون نصبا: أم الجر فعلى أن يكون وصفا للمؤمنين في قوله تعالى:(**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ**) التائبين العابدين، وأما النصب فعلى إضمار فعل لمعنى المدح، كأنه قال: أعني أو أمدح التائبين العابدين، كما أنّك مع الرفع أضمرت الرافع لمعنى المدح)[62].

ومن الظواهر النحوية التي تفرد بها ابن مسعود عن بقية القراء في قوله تعالى: (**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّموات والأرض إلاَّ ءاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**)[63] قرأ الجمهور" ءَاتي " بالكسرة والياء وكسر كلمة (الرحمنِ) على الإضافة، وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة " آتٍ الرَّحْمنَ " بالتنوين ونصب الرحمن على أصله قبل الإضافة، وهي القراءة الصواب[64].ومما يستشف من قراءة ابن مسعود أنه فضل القراءة الأسلم والأصح من الناحية اللغوية والناحية الفقهية فهي على وزن اسم الفاعل الذي يعمل منونا واستقبالا وعليه أن جميع الناس سيأتون الله عزّ وجل يوم القيامة عبدا، كذلك أنه من شروط عمل اسم الفاعل هو التنوين والحال والاستقبال وكلها متوفرة في قراءة ابن مسعود.

ومن الاتجاه نفسه في مظهر من مظاهر النصب على خلاف الجمهور– وهو الجر – ما ورد في قوله عز وجل:(**الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَابِرِينَ عَلى مَا أَصَبَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلوَة وَمِما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون**)[65]، قرأ الجمهور (والمُقِيمي الصَّلاةِ) بالخفض على الإضافة وحذف النون وقرأ ابن مسعود والأعمش: (والمُقِيمِين الصَّلاَةَ) بالنون وبالنصب على الأصل[66].

وفي قوله تعالى:(**إِنَّ أَصْحَابَ الجنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُون**)[67]، قرأ الجمهور(فَاكِهُون)بالرفع على أساس أنها خبر ثان والخبر الأول هو شبه الجملة (فِي شُغُلٍ)، أو أن (فَاكِهُون) هو الخبر و(في شغل) متعلق به، بينما قرأ ابن مسعود (فَاكِهِين) بالنصب على الحال من الضمير في الجار[68].

ومن مظاهر النصب التي انفرد بها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود في خرجاته النحوية، قوله تعالى:(**سَلاَمُ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**)[69]، قرأ جمهور القراء (سَلاَمُ) بالرفع على قول: ذلك لهم سلامٌ قولاً أي لهم ما يدّعون مسلّم خالص أي خبر لقوله:(لَهُمْ مَا يَدَّعُون)، ورفع على الاستئناف: ذلك لهم سلام؛ وقرأ ابن مسعود:(سَلاَمًا قَوْلاً) بالنصب على المصدر، قال الزمخشري، وعن ابن مسعود: سلاما نصب على الحال، أي لهم مرادهم خالصا ووافقه على ذلك أبي[70] .

وفي قوله تعالى:(**إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلاَسِلُ يُسْحَبُون**)[71] قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن وثاب (وَالسَّلاَسِلَ) بالنصب على المفعول و(يسحبون) مبنيا للفاعل وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية [72].

ومن مظاهر النصب الغريبة عند ابن مسعود كذلك ما جاء في قوله تعالى: (**وَحُورُ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللؤلؤ المكنون**)[73]، فقد قرأ الجمهور (وَحُورٌ عَيْنٌ) بالرفع وفيه أوجه فأما الأول: هو معطوف على ولدان، أي يطفن عليهم للتنعم لا للخدمة والثاني: تقديره: لهم حور، أو عندهم أو وثم، والثالث: تقديره:ونساؤهم حور بينما قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب (وَحُورًا عَيْنًا) بالنصب، على تقدير فعل مضمر على معنى، ويعطفون هدا كله وحورا عينا أو ويؤتون أو يزوجون حورا عينا[74].

ظاهرة الجر: بعد أن استعرضت ظاهرتي الرفع والنصب وما صاحبهما من تأويلات وتخريجات، وشذوذ في القراءات، أحاول في هذا المقام أن أعرض أيضا إلى ظاهرة الجر، وما يلازمها من ملاحظات، متبعا الخطوات نفسها وهي ترتيب الآيات وفق السور القرآنية كما جاءت في المصحف الإمام.

ففي قوله تعالى:(**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرُ عَلِيمٌ**)[75] قرأ القراء (خَيْرًا) بالنصب مفعول به بعد إسقاط حرف الجر أي(بخير) وقد قرأ بها ابن مسعود: (ومن يتطوع بخيْرٍ) بالجر[76] وبالتالي فالصحابي الجليل قرأ بالجر دون التعدية وذلك بعد تغيير قراءة تطوع إلى يتطوع مما ألزمه بتعدية الفعل بحرف الجر.

ومن مظاهر الجر أيضا ما جاء في قوله تعالى:(**سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**)[77]، فجمهور القراء قرأ(لَيْلاً) بلفظ التنكير وهي كما يقول الزمخشري، تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة

أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دلَّ على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة ابن مسعود وحذيفة من الليل، أي بعض الليل[78].

ويؤيد هذه القراءة ما قاله النحاة عن قوله تعالى:(**لنْ تنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**)[79] قرأها ابن مسعود (حتَّى تُنْفِقُوا بَعْضَ مَا تُحِبُّونَ)، ويعقب الدكتور عبد الجواد الطيب: (هل يعتبر هذا صورة من صور تخلص الهذليين أحيانا من استعمال (من) أداة للجر في بعض أحوالها، أو أنها قراءة قصد ابن مسعود من ورائها مجرد التفسير بالمرادف، دون أن يكون في هذا أثر للهجة قومه ؟)[80].

وهذا مثال آخر يؤيد ما سبق ذكره، ففي قوله تعالى: (**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَار وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ءايتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)[81] نجد أن ابن مسعود يلجأ إلى تكرار حرف الجر قبل الأسماء المعطوفة على أسماء مجرورة سابقة لها حيث قرأ:(وفي اختلاف الليل) زيادة حرف الجر "في".كما قرأ:(لآيات) بزيادة اللام حرف الجر يقول الفراء: ((يقول في خلق الآدميين وسواهم من كل ذي روح آيات. تقرأ: الآيات بالخفض على تأويل النصب، يرد على قوله:(إنَّ فِي السَّمَوات والأَرضِ لآيَاتٍ) ويقوى الخفض فيها أنها في قراءة عبد الله (لآياتٍ"))[82].

ومن مظاهر الجر في قراءات ابن مسعود قوله تعالى:(**وَحُورٌ عَيْنٌ**)[83]، قرأها جمهور القراء بالرفع وفيه أوجه وقد سبقت الإشارة إليه، وقرأها عبد الله وأصحابه من أمثال حمزة والكسائي بالخفض (وَحوُرٍ عِينٍ) وحجتهم في ذلك أنهم عَطَفُوهَا على(جَنَّاتِ النَّعِيمِ) والتقدير :أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حُورٍ عَينٍ[84].

وآخر مظهر من مظاهر الجر في قراءات ابن مسعود ما جاء في قوله تعالى:(**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**)[85]، وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وقرأ الجمهور بالنصب على لغة الحجاز أيضا والنصب لعدم وجود الباء. وفي قراء عبد الله بن مسعود " بِأُمَّهَاتِهِمْ " بزيادة الباء في لغة من ينصب[86]. ويقول الفراء تعقيبا حول الآية: (الأمهات " في موضع نصب لما ألقيت منها الباء نصبت، كما في سورة يوسف " مَا هَذَا بَشَرًا " إنما كانت في أهل الحجاز:" مَا هَذَا بِبَشَرٍ"، فلما ألقيت الباء ترك فيها اثر سقوط الباء وهي في قراءة عبد الله: " مَا هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ " وأهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا، فقالوا: "مَا هَذَا بَشَرٌ " و" مَا هُنَّ أَمَّهَاتُهُمْ ")[87].

ظاهرة الصرف (التنوين):ظاهرة الصرف أو التنوين، ظاهرة نحوية تناولتها أمهات المصادر والكتب النحوية القديمة منها والحديثة بشيء من الإسهاب والتفصيل، ولذا فلن أقف منظرا لهذه الظاهرة من هذا السياق وإنما سأعرض هنا للتنوين من حيث إثباته في قراءة ابن مسعود وعدم إثباته وسببه حتى أتمكن من إزالة شذوذ قراءته وتقديمها وفق ما تقتضيه اللغة العربية.

ففي قوله تعالى:(**قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُو أَدْنَى بِالَّذِي هُو خَيْرٌ اهبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**) [88] قرأ الجمهور "مِصْرًا" بالتنوين وسبب تنوينه ورود لكلمة نكرة لذلك انصرفت، كما أنها تعني مصرًا من الأمصار غير معين لكنه من الأمصار المقدسة واستدلوا بذلك بدخول القرية وبأنهم سكنوا الشام بعد التيه، كما أنها انصرفت إذا سمى بها النساء، لأنها تردَّدُ وتكثر بها التسمية فتخف بكثرتها وهذه الأسماء- أي أسماء النساء – إذا خفَّ منها شيء جرى إذا كان على ثلاثة أحرف وأوسطها ساكن مثل دَعْدٍ وهند وجمل[89]. وقرأ الحسن والأعمش وطلحة وأبان بن تغلب(مصرَ) بلا تنوين غير منصرف ووقفا بغير ألف وهو كذلك في مصحف أبيّ بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود، وهي بمثابة اسم البلدان التي لا تنصرف خفت أو ثقلت، وكذلك أن سبب منعها من الصرف يعود إلى العلمية والتأنيث المعنوي[90].

وعقب الزمخشري عن ظاهرة التنوين قائلا:(ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث، سكون وسطه كقوله: ونوحًا و لوطًا وفيهما العجمة والتعريف، يضيف أبو حيان إلى أن من قرأ "مصرَ" بغير تنوين فالمراد منه مصر العلم وهي دار فرعون)[91].

أما في قوله تعالى:(**قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين**)[92]، قرأ الجمهور "خيرٌ حَافِظًا " بالألف تمييز لأفعل التفضيل "خير"، كقولك: هو خيرهم رجلا ولله درّه فارسًا، وقيل هو حال، ويجوز إضافته، وقرأ ابن مسعود "خيرُ الحافظين" بغير تنوين "خير"[93].

وفي قوله تعالى:(**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**)[94] قرأها جمهور القراء "ءَاتِي الرَّحمَنِ " بياء الإضافة وجر الرحمن على الإضافة، بينما قرأ ابن مسعود وأبو حيوة "آتٍ الرَّحْمنَ " بالتنوين والعمل وبالتالي نصب "الرَّحْمَنَ " على أصله قبل الإضافة[95].

ومن شروط عمل اسم الفاعل أن يكون نكرة منونا حاملا لمعناه الحال والاستقبال وكذلك جاءت قراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

وفي قوله تعالى:(**فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا اسْتِكْبَارا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**)[96]، قرأ الجمهور "وَمَكْرَ السيئ" بكسر الهمزة وذلك بإضافة المكر إلى السيئ، بينما قرأ ابن مسعود "وَمَكْرًا سيئاً " عطف نكرة على نكرة[97]، يقول ابن جني تعليقا على قراءة ابن مسعود:((يَشهد لتنكيره تنكير ما قبله من قول الله سبحانه: "استكبارا في الأرض وقراءة العامة أقوى معنى، وذلك أن(المكر) فيها معرفة لإضافته إلى المعرفة، أعني "السيئ " فكأنه قال: "والمكرَ السيئ " الذي هو عالٍ مستكره مستنكر في النفوس ...))[98]. وفي قوله تعالى:(**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ**)[99]، قرأ الجمهور "حَمَّالَةَ الحَطَبِ" بالنصب على وجهين: أحدهما أن تجعل الحمالة قطعا؛ لأنها نكرة وثانيهما: أن تشتمها بحملها الحطب، فيكون نصبها على الذم، قال الزمخشري: وقرئ حمالةَ الحطب بالنصب على الشتم، وقرأ ابن مسعود "وَمُرَيْئَتُهُ حَمَّالَةٌُ للحَطَبِ" نكرة مرفوعة خبر عن مُريئته، كما قرأ:"وَامرأته حمالةً للحطب" نكرة منصوبة، وكانت تنم بين الناس كذلك حملها الحطب يقول: تحرش بين الناس، وتوقد بينهم لعداوة[100].

ظاهرة التراكيب: يقصد بالتراكيب تلك الجمل التراكيب المكونة للجملة وما يعتريها من تغيرات في ألفاظها وتراكيبها، كما أن التغيرات التي تلحقها نثير الاهتمام بها لأنها مخالفة للقراءة الصحيحة إضافة إلى اختلاف القراء فيها فهناك من يرفع هذه الألفاظ وهناك من ينصبها وهناك من بجزمها وهناك من يغير بعض حروفها بحروف وبالتالي ورود أساليب قراءة ابن مسعود بشكل يلفت الانتباه لأنه مخالف ما ذهب إليه جمهور القراء وبالتالي شذوذ قراءته.

ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى:(**إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**)[101]، فقد قرأها ابن عباس "ولاَ تُسْأَلْ" بالجزم على النهي وجاء التفسير بذلك، إلاّ أن التفسير على فتح التاء على النهي، أما ابن مسعود فقد قرأ "وَلَنْ تُسْأَلْ" وهذا كله خبر فالقراءة الأولى وقراءة أبيّ " وَمَا تُسْأَلُ " يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وهو الأظهر ويحتمل أن تكون في موضع الحال وأما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف والمعنى على الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار مالهم لم يؤمنوا لأن ذلك ليس إليك[102] .

ومن أمثلة اختلاف القراءة في الظواهر التركيبية السابقة، ما جاء في قوله تعالى:(**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**)[103]، قرأ ابن عامر وعاصم "فيغفرُ لمن يشاءُ ويعذبُ " بالرفع فيهما على القطع وذلك على وجهين؛ الأول أن يجعل الفعل خبر مبتدأ محذوف والثاني أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدم[104] وبالرفع كذلك على الاستئناف أي فهو يغفر، ويعذب[105]، وقرأ باقي السبعة في الجزم عطفا على الجواب، كما قرئ بالنصب عطفا على المعنى بإضمار أن تقديره فأن يغفرَ، وهذا يسمى الصرف والتقدير: يكن منه حساب، فغفران، وقرئ في الشاذ بحذف الفاء، والجزم على البدل من يحاسبكم وهي قراءة عبد الله بن مسعود حيث قرأ: "**يُحَاسِبْكَم بِهِ اللهُ يَغْفِرْ لمن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء**"[106]، يقول ابن جني:(جزم هذا على البدل من (يحاسبكم)على وجه التفصيل لجملة الحساب، ولا محالة أن التفصيل أوضح من المفصل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال والبعض كضربت زيدًا رأسه والاشتمال كأحبُّ زيدًا عقله. وهذا البدل ونحوه واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلتين إلى البيان، فمن ذلك قول الله تعالى:(**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**)[107] لأن مضاعفة العذاب هو لقي الأثام))[108].

وهذا دليل آخر على اختلاف قراءات القراء في بعض الحروف، فهناك من القراء من يعمل هذه الحروف وهناك من يبدلها بحروف أخرى وهناك من يهمل عملها، ففي قوله تعالى:(**وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون**)[109]، قرأ أغلب القراء بما فيهم عاصم وابن عامر وحمزة "وَلاَ يَأْمُرَكُم" بنصب الراء؛ يردونها إلى "أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهَ ": وَلاَ أَنْ يَأْمُرَكُم، القراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، و بها قرأ الحرميان والنحويان والأعمش على القطع، أما عبد الله فقد قرأ "وَلَنْ يأمركم"وهذا دليل على انقطاعها من النسق وأنها مستأنفة، فلما وقعت"لا" في موقع " لن " رفعت[110].

وفي قوله تعالى:(**قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابَ**)[111] قرأ الجمهور"أَعَجَزْتُ" بفتح الجيم، وقرأ ابن مسعود وطلحة(أَعَجِزْتَ) بكسر الجيم وهي لغة شاذة، وإنما مشهور الكسر في قولهم عجزت المرأة إذا كبرت عجيزتها[112].

ومن مظاهر اختلاف التراكيب النحوية في قراءة القراء ما جاء في قوله عز وجل: (**قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونَ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا**

وَآخِرِنَا)[113]، قرأ الجمهور (تَكُونَ لَنَا)على أن الجملة صفة للمائدة، بينما قرأ عبد الله والأعمش (تَكُنْ) بالجزم على جواب الأمر[114]. و يعلق الفراء على قراءة ابن مسعود فيقول: ((وهي في قراءة عبد الله " تَكُنْ لَنَا عِيدًا "، وما كان من نكرة قد وقع عليها أمر جاز في الفعل بعده الجزم والرفع))[115].

وهذا مثال آخر لمظهر الاختلاف نفسه، ففي قوله عز وجل:(**وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)**[116]، قرأ الجمهور بما فيهم الحسن: (تَسْتَكْثِرُ) بالرفع منصوب المحل على الحال أي: ولا تُعْطِ مُسْتَكْثِرًا، ومن قراءات الحسن أيضا " تَسْتَكْثِرْ " بالجزم على أنه حال أو بدل، كما قرئ أيضا بالنصب وهي قراءة الأعمش على تقدير لتستكثر وذلك بإضمار أن أما في قراءة ابن مسعود فهي على قوله: "أن تستكثرَ " بإظهار أن وهذا شاهد كما يقول الفراء – على الرفع في " تستكثر "، ويجوز في الرفع أن تحذف " أن "ويبطل عملها – والرفع وجه القراءة والعمل[117].

وفي قوله تعالى:(**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)**[118]، قرأ الحسن (أَوْ يُحْدِثْ) بسكون الثاء، بينما قرأ عبد الله ومجاهد وأبو حيوة والحسن في رواية الجحدري وسلام(أَوْ نُحْدِثْ) بالنون وجزم الثاء وذلك حمل وصل على وقف أو تسكين حرف الإعراب استثقالا لحركته، كما قرأ بالتاء بدلا من الياء أو النون، كما لجأ البعض إلى تسكين الثاء طلبا للتخفيف[119].

وقد اختلف القراء حتى النحاة في قراءة قوله تعالى:(**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَحران يُرِيدَانِ أن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ**)[120]، قال الفراء:((حدثني أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله تعالى في النساء:(**لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ والمُقِيمِينَ الصَّلَواة)** وعن قوله في المائدة:(**إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّبِئُونَ)** وعن قوله: (**إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَان**) فقالت: يابن أخي هذا كان خطأ من الكاتب))[121]، وقرأ أبو عمرو "إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ " على الجهة الظاهرة المكشوفة، وقرأ ابن كثير وحفص: " إِنَّ هَذَانِ لَسَحِرَانِ " على قولك إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة في الثقيلة، قرأ ابن مسعود: أن هذان ساحران بفتح همزة "أن" وبغير لام بدل من النجوى، وقيل في القراءة المشهورة "إن هذان لسحران" هي لغة لبني الحارث بن كعب الذين يجعلون الاثنين برفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف[122].

ومن ذلك أيضا إلحاق ضمير جماعة الذكور الغائبين، وجماعة الإناث الغائبات بالفعل "عسى" في قوله تعالى:(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرُ قَوْمُ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا**

مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ)[123]، قرأ جمهور القراء "عَسَى أَنْ يَكُونُوا...وعَسَى أَنْ يَكُنَّ" . قرأ عبد الله بن مسعود: "عَسَوْا أَنْ يَكُونُوا، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَيْنَ أن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ " فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله تعالى:**(فَهَلْ عَسَيْتُم)** وعلى الأولى التي لا خبر لها كقوله تعالى: **(وعسى أن تكرهوا شيئا)**، فابن مسعود في هذه الآية خالف المألوف المتعارف عليه من لزوم الفعل "عسى" حالة الإفراد مع جميع الفاعلين، وألحق به ضمير جماعة الغائبين وضمير جماعة الإناث الغائبات[124].

الهوامش:

1 سورة البقرة آية 158.

2 أبو حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر:بيروت.ط2 1978،408/1. الزمخشري، تفسير الكشاف،تح:مصطفى حسين أحمد،دار الكتاب العربي:بيروت.ط3،1.1407 /209.

3 سورة البقرة آية 177.

4 الكشاف 218/1.ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،تقديم:محمد علي الضباع،دار الكتب العلمية:بيروت،ط3، 1418. 170/2.

5 سورة آل عمران آية 39.

6 العكبري، إملاء ما من به الرحمان، علق عليه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية: بيروت، ط1، 1423 ص122. والبحر المحيط 2 /447. والكشاف 359/1. ومعاني القرآن للفراء1 /150.

7 للإطلاع أكثر حول هذه الظاهرة ينظر، لغة هذيل /329.

8 سورة النحل آية 41.

9 ينظر، البحر المحيط 5 /792.

10 سورة آل عمران آية 121.

11 ينظر، البحر المحيط46/3. والكشاف409/1. والفراء، معاني القرآن، قدم له: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت. ط1، 1422، 1 /164

12 سورة الحديد آية 16.

13 ينظر، البحر المحيط 8 /223. ومعاني القرآن للفراء 3 /40.

14 سورة الفرقان آية 25.

15 ينظر، سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، 2 /244. وابن يعيش، شرح المفصل، تصحيح مشيخة الأزهر، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)1 /111 187. والبحر المحيط 5 /494.

16 عبد الجواد الطيب، من لغات العرب – لغة هذيل – / 334.

17 سورة المطففين آية 03.

18 سورة أل عمران آية 175.

19 ينظر، البحر المحيط 3 /120 و الكشاف 1 /443.

20 سورة النساء آية 01.

21 البحر المحيط 4 /157 و الكشاف 1 /462.

22 سورة النساء آية 91.

23 البحر المحيط 3 /313 و319، الإملاء /170. وابن جني، المحتسب، تح:ع لي النجدي ناصف،1 /194.

24 سورة الأنفال آية 01.

25 البحر المحيط 4 /456 و الكشاف 2 /195 و المحتسب 1 / 272.

26 سورة طه آية 114.

27 لدمياطي،الإتحاف،تح:شعبان محمد إسماعيل،عالم الكتب،بيروت 2 / 257 و258. والبحر المحيط 6 / 282

28 سورة القصص آية 06.

29 ينظر، الإتحاف 2 /340 و البحر المحيط 7 /105 والكشاف 3 / 393. والقيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع،تح:محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،ط5. 1418، 2 /172. ومعاني الفراء 2 /195.والنشر 2 /255.

30 سورة الصافات آية 37.

31 ينظر، الإتحاف 2 /411 و البحر المحيط 7 /358.

32 من لغات العرب لغة هذيل ص339.

33 المصدر نفسه ص340.

34 سورة البقرة آية 26.

35 البحر المحيط 1 /125. والكشاف 1 /119.

36 سورة البقرة آية 177.

37 الإملاءص74. والبحر المحيط 2 /2. والكشف 1 /280.281.والنشر 2 /170.

38 سورة البقرة آية 196.

39 الإملاء /81.والبحر المحيط 2 /72. الكشاف 1 /239.ومعاني القرآن للفراء 1 /85.

40 سورة البقرة آية 197.

41 الكشف 1 /286. والكشاف 1 /242.

42 سورة البقرة آية 240.

43 الإملاء /94. والبحر المحيط 2 /245.والكشاف 1 /289. ومعاني الأخفش /128.

44 سورة النساء آية 135.

45 البحر المحيط 3 /370. والكشاف 1 / 574 .

46 سورة هود آية 72.

47 الإتحاف 2 /132. والإملاء /296. والبحر المحيط 5 /244.

48 الإملاء ص 296.

49 سورة يوسف آية 31.

50 سورة النور آية25.

51 الإملاء /400. والبحر المحيط 6 /441.

52 سورة الحشر آية 17.

53 الإملاء /502. الإتحاف 2 /531. والبحر المحيط 8 /250. والكشاف 4 /507. ومعاني القرآن للفراء 3 /49

54 سورة الفاتحة آية 07.

55 البحر المحيط29/1. والكشاف 17/1.ومعاني الأخفش23. ومعاني القرآن للفراء 17/1.

56 سورة البقرة آية 17 .

57 الإملاء /25. والبحر المحيط 1 /82. ومعاني القرآن للفراء 1 /24.

58 سورة آل عمران آية 81.

59 البحر المحيط 2 /513.

60 سورة التوبة آية 112.

61 الإملاء 278. والبحر المحيط 5 / 104. والكشاف2 /314. ومعاني القرآن للفراء 1 /304.

62 المحتسب1/305.

63 سورة مريم آية 93.

64 الكشاف 3 /46. ومعاني القرآن للفراء 2 /90.

65 سورة الحج آية 35.

66 البحر المحيط 6 /369.والكشاف 3 /157. ومعاني القرآن للفراء 2 /132.

67 سورة يس آية 55.

68 الإملاء /447. والكشاف 4 /21. ومعاني القرآن للفراء 2 /264.

69 سورة يس آية 58.

70 الإملاء /447. والبحر المحيط 7 /343. والكشاف 4 /28. ومعاني الأخفش /272. ومعاني القرآن 3 /264.

71 سورة غافر آية 71.

72 البحر المحيط 7 /475.

73 سورة الواقعة آية 23.

74 الإملاء /496. والبحر المحيط 8 /206. والمحتسب 2 /309.

75 سورة البقرة آية 158.

76 البحر المحيط 1 /458. والكشاف 1/209.

77 سورة الإسراء آية 01.

78 البحر المحيط 6 /5 و الكشاف 1 /646.

79 سورة آل عمران آية 92.

80 من لغات العرب – لغة هذيل – / 360.

81 سورة الجاثية آية 05.

82 معاني القرآن للفراء 2 /336.

83 سورة الواقعة آية 22.

84 الإتحاف 2 /515، الإملاء /496. والكشف 2 /304 ومعاني القرآن للفراء 3 /30 والنشر 2 /286.

85 سورة المجادلة آية 02.

86 البحر المحيط 8 /232 و الكشاف 4 /484.

87 معاني القرآن للفراء 3 /43.

88 سورة البقرة آية 61.

89 الإملاء41. والإتحاف 1 /395.والبحر المحيط 1 /234.والكشاف 1 /145.ومعاني القرآن للفراء 1/ 41.

90 الكشاف 1 /145.

91 البحر المحيط 1 /235.

92 سورة يوسف آية 64.

93 الإملاء / 308.والكشاف 2 /486.ومعاني القرآن للفراء 1 /360.

94 سورة مريم آية 93.

95 الكشاف 3 /46.

96 سورة فاطر آية 43.

97 البحر المحيط 7 /320. والكشاف 3 / 619. ومعاني القرآن للفراء 2 /256.

98 المحتسب 2 / 202.

99 سورة المسد آية 04.

100 الكشاف 4 / 815. والمحتسب 2 / 375. ومعاني القرآن للفراء 2 / 186.

101 سورة البقرة آية 119.

102 البحر المحيط 367/1. والكشاف1 /182. ومعاني القرآن للفراء 1 /60.

103 سورة البقرة آية 284.

104 البحر المحيط 2 /361.

105 الإملاء ص111.

106 الإملاء /112. والبحر المحيط 2 /361. الكشاف 1 /330.

107 سورة الفرقان، الآية 69، 68.

108 المحتسب 2 /149 و 150.

109 سورة آل عمران آية 80.

110 الإملاء 129.البحر المحيط 2 /507.والكشاف 1 /378.معاني القرآن للفراء 1 /159.

111 سورة المائدة آية 31.

112 البحر المحيط 3 /467، الإتحاف 1 /534.

113 سورة المائدة آية 114.

114 البحر المحيط 4 /5 و الكشاف 1 /693.

115 معاني القرآن للفراء 1 / 222.

116 سورة المدثر آية 06.

117 الإملاء /520 و البحر المحيط 8 /372 و الكشاف 4 /646 و المحتسب 2 /337 ومعاني القرآن 3/ 95.

118 سورة طه آية 113 .

119 البحر المحيط 6 /281 و الكشاف 3 /90.

120 سورة طه آية 63.

121 معاني القرآن للفراء 2 /100.

122 الإملاء 371 و البحر المحيط 6 / 258 و الكشاف 3 /72 ومعاني القرآن للفراء 2 / 100.

123 سورة الحجرات آية 11.

124 البحر المحيط 8 / 113 و الكشاف 4 / 368 و 369 و معاني القرآن للفراء 2 / 358.